مجلة كلية الآداب

تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

العدد الرابع عشر

المجلد الاول

١٩٧٠ - ١٩٧١

مطبعة المعارف ـ بغداد

نقد النحو
في كتب فقه اللغة

حسام سعيد النعيمي
قسم اللغة العربية

تعرض النحو العربي منذ وقت ليس بالقصير الى النقد والتجريح ، وقد ضاق قوم بـه ذرعاً وهو يخطو خطواته الاولى كالذي يروى عـن الفرزدق وغيره من الشعراء[1] ، ولست هنا بصدد تقويم النحو العربي أو الدفاع عنه ، انما اريد أن أقف وقفة قصيرة عند نتاج عدد من العلمـاء المحدثين الذين وجدتهم يتحاملون على النحو والنحويين لنتبين أعن بصيرة كان تجريحهم وانتقادهم أم عن سرعـة خالية من الروية التي يستدعيهـا التعرض لاي موضوع علمي ، وسأكتفي بايراد عدد من المسائل تاركـاً للقارىء فرصة الحكم عـلى طبيعة الاسلوب الذى اختـاره هؤلاء الافاضل لنقد النحو وبخاصة اولئك الذين تصدوا للكتابة فى(فقه اللغة) ذلك العلم الذي نحسب أن عدداً من أهله لا يستسيغون الكتابة فيه دون هجوم على النحو والنحاة ، وسيرى القارىء انه ليس لهذا الهجوم غير تفسير واحـد هو قلة البضاعة فى هذا العلم مما يقدح فى تمام الآلة التي تمكن صاحبها من التعرض لفقه اللغة ، فنحن نعتقد ان فقه اللغة لا ينبغي أن يخوض فيه الا من استجمع آلته ، وأبرز مقومات هذه الآلة نحو هذه اللغة وصرفها .

١ ـ تمييزكم الخبرية

---

(١) انظر مثلا نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٢ تحقيـق الدكتور ابراهيم السامرائي .

قال الدكتور ابراهيم أنيس[٢] : (روى النحـــاة فى المطولات من كتبهم عدة مسائل اختلف فيها الرأي بينهم وقـد نسبوا هـذا الخلاف الاعرابي الى قبائل معينة على أنها لهجاتهم وما تستطيعه السنتهم) ثم قال : (والحق ان هذا النوع من الاختلاف الاعرابي لا يمت للهجات العربية بصلة وانما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم وحاول كل فريق أن يأتي بجديد فى تلك القواعد الاعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم) وقد ذكر أمثلة لما صنعه النحاة واختلفوا فيه نذكر منها تمييز كم الخبرية حيث قال : (لهجة تميم تنصب تمييز كم الخبرية مفرداً ولهجة غيرهـم توجب جره وتجيز جمعه وافراده ، فبنو تميم يقولون كم درهماً انفقت ! وغيرهم يقولون كم درهم أنفقت ! وكم عبيد ملكت ! ولهذا كان قـول الفرزدق [كم عمة لك يا جرير وخالة •] موضع نقاش وجدل بين النحاة يمكن الرجوع اليه فى المطولات من كتبهم •) ولا اريد هنا أن أعرض لمناقشة (قصة الاعراب)[٣] التي يدعيها الدكتور أنيس فقد كفانا عدد من الاساتذة الافاضل مؤونة ذلك[٤] ، وانما الذى يعنيني ان اتجول مـع القارىء في عدد من مطولات النحاة لنرى نقاشهم وجدلهم فى بيت الفرزدق وفى تمييز كم الخبرية كيف يكون كما طلب الدكتور أنيس •

قال سيبويه امام النحـاة : (واعلم ان ناساً من العرب يعملونها فيمـا بعدها فى الخبر كما يعملونها فى الاستفهام فينصبون بها ••• وبعض العرب ينشد قول الفرزدق :

---

(٢) فى اللهجات العربية ط ٣ ص ٨٢ ـ ٨٤ •

(٣) انظرها في ص ١٨٣ من كتابه اسرار اللغة ط ٣ •

(٤) انظر مثلا ما قاله الدكتور وافي في فقه اللغة ط٦ ص ٢٠٦ـ٢٠٩ والدكتور ابراهيم السامرائي فى فقه اللغة المقارن ص ١٨ ـ ١٩ والدكتور عبده الراجحي فى اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٩٣ والدكتور صبحي الصالح فى دراسات فى فقه اللغة ص ١٢٦ وما بعدها •

كم عمةً لك ياجرير وخالةً فدعاء قد حلبت علي عشاري

وهم كثير منهم الفرزدق والبيت له •)[٥] فهذا سيبويه الذي قيل فيه انه امام النحو[٦] فى كتابه الذي قيل فيه انه قرآن النحو[٧] وهو أول كتاب وصلنا فى بابه يعرض لذكر كم الخبرية وبيت الفرزدق دون أية اشارة الى اختلاف أو جدل أو نقاش كما زعم الدكتور أنيس ، وكل ما فى الامر أن سيبويه حكى عن العرب شيئاً سمعه منهم بما عرف عنه من دقة وأمانة رحمه الله • وقد يخطر على البال ان الاستاذ قد وجد الخلاف فى غير كتاب سيبويه ولعل النحاة بعد امامهم قد اختلفوا وان كان ما الف بعده عليه عيال كما قيل[٨] فلننظر فى عدد من المطولات كما طلب الاستاذ أنيس وكم كنا نود لو انه نقل لنا نصاً واحداً من تلك المطولات التي تعرضت لهذه المسألة ونقلت جدال النحويين ونقاشهم فيها كما ذكر •

قال الاعلم الشنتمري وهو يتحدث عن بيت الفرزدق : (ويجوز فى قوله كم عمة الرفع والنصب والجر ، والرفع على الابتداء وتكون كم لتكثير المرار والتقدير كم مرة حلبت علي عشاري عمة لك وخالة •• والنصب على أن تجعل كم استفهاماً ، أو خبراً فى لغة من ينصب بها الخبر ، والجر على أن تكون كم خبراً بمنزلة ربّ •)[٩] والذي يتبادر الى الذهن ان الاستاذ الفاضل لم يفرق بين تعدد الرواية ووجوه الاعراب وبين الخلاف أو الجدل أو النقاش النحوي ، ففي قراءة عاجلة حكم بان النحاة دار بينهم جدل ونقاش حول بيت الفرزدق • وهذه الاوجه التي ذكرها الاعلم فى

---

(٥) الكتاب ١ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ •
(٦) المزهر للسيوطي ٢ : ٤٢٦ •
(٧) مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي ص ٦٥ •
(٨) انباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٥١ •
(٩) تحصيل عين الذهب للاعلم الشنتمري حاشية كتاب سيبويه ١ : ٢٩٣ •

اعراب الروايات الثلاث في البيت قد اتفق عليها النحاة ولا أعلم أحداً خالف فيها الا ان صاحب الانصاف[١٠] ذكر مسألة من مسائل الخلاف تتعلق بتمييز كم الخبرية اذا فصل بينه وبينها بظرف أو جار ومجرور ، وهذه ولا ريب لا علاقة لها ببيت الفرزدق أو بلغة من ينصب بها وانما هي مسألة ثانية .

اما شرح المفصل فقد تكلم على تمييز كم الخبرية دون اشارة الى أي خلاف فيها ذاكراً لغة تميم قال : (واما الخبرية فانها تبين بالواحد والجمع وتضاف الى المعدود وذلك نحو كم رجل عندك ! وكم غلمان لك !..)[١١] ثم قال : (وبعض العرب ينصب بكم في الخبر كما ينصب في الاستفهام وهم بنو تميم)[١٢] وعندما ذكر الزمخشري بيت الفرزدق قال ابن يعيش : (هذا البيت ينشد على ثلاثة أوجه رفع ونصب وجر فالرفع على انه مبتدأ ... ومن نصب فعلى لغة من يجعل كم في معنى عدد منون ونصب بها في الخبر وهم كثير منهم الفرزدق لان هذا ليس موضع استفهام مع انه لا يبعد الاستفهام على سبيل التقرير .. ومن جر فعلى انه خبر بمعنى ربّ)[١٣] ، وفي شرح الكافية قال الرضي الاستربادي : (وبعض العرب ينصب مميز كم الخبرية مفرداً كان أو جمعاً)[١٤] ، ثم ذكر بيت الفرزدق وأوضح معناه ثم قال : (.. وجه النصب في عمة كون كم خبرية على ما تقدم من جواز نصب تمييزها عند بعضهم أو

---

(١٠) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ط ٣ ، ١ : ١٧٢ (المسألة ٤١) .

(١١) شرح المفصل لابن يعيش ٤ : ١٢٦ .

(١٢) شرح المفصل ٤ : ١٣٠ .

(١٣) شرح المفصل ٤ : ١٣٤ .

(١٤) شرح الكافية للرضي الاستربادي ط استنبول ٢ : ٩١ .

استفهامية • وان لم يرد معنى الاستفهام لكن على سبيل التهكم •• ، والجر على أن كم خبرية ، والرفع على حذف المميز •• فترتفع عمة بالابتداء ولك صفتها والخبر قد حلبت[١٥]) ، وقال ابن هشام في المغني : (تمييز كم الخبرية واجب الخفض وتمييز الاستفهامية منصوب •• وزعم قوم ان لغة تميم جواز النصب تمييز كم الخبرية اذا كان الخبر مفرداً وروي قول الفرزدق ••• بالخفض على قياس تمييز كم الخبرية وبالنصب على اللغة التميمية أو على تقريرها استفهامية استفهام تهكم •• وبالرفع على انه مبتدأ[١٦]) ، اما ابن عقيل فلم يذكر لغة تميم ولا أشار الى بيت الفرزدق وانما قال : (تستعمل كم للتكثير فتميز بجمع مجرور كعشرة أو بمفرد مجرور كمائة)[١٧] ، وقد أورد الاشموني بيت الفرزدق مجروراً ثم قال : (ويروى هذا البيت بالنصب والرفع أيضاً ، اما النصب فقيل ان لغة تميم نصب تمييز الخبرية اذا كان مفرداً وقيل على تقديرها استفهامية استفهام تهكم ، واما الرفع فعلى انه مبتدأ)[١٨] وقال الصبان في حاشيته (قوله اذا كان مفرداً كذا قال الشلوبين والصحيح انه يجوز فيه الافراد والجمع على هذه اللغة كما في الكافية ونص على ذلك السيرافي)[١٩] ، وفي شرح التصريح على التوضيح قال الازهري : (وتميز الخبرية بمجرور باضافتها اليه)[٢٠] ، ثم ذكر بيت الفرزدق وقال : (بجر عمة وخالة على ان كم خبرية ، وبنصبهما فقيل ان تميماً تجيز نصب مميز الخبرية ••

---

(١٥) شرح الكافية ٢ : ٩٤ •

(١٦) مغني اللبيب لابن هشام ط الحلبي ١ : ١٥٩ •

(١٧) شرح ابن عقيل ط ١٤ ٢ : ٤٢١ •

(١٨) حاشية الصبان على الاشموني ط الحلبي ٤ : ٨١ •

(١٩) حاشية الصبان ٤ : ٨١ •

(٢٠) التصريح على التوضيح ط الحلبي ٢ : ٢٧٩ •

وقيل على الاستفهام التهكمي)[٢١] .

ولعل في كل ما قدمته من كلام للعلماء ما يقنع الاستاذ الفاضل بأنه قد ظلم النحاة بعجالته ، ولم يكن على الجادة حين نسب اليهم ما نسب ، ولعلي قد قدمت للدكتور صبحي الصالح ما يقنعه بأنه كان واهماً اذ تابع الدكتور أنيس في هذا وزاد عليه بأن وصف الجدل المتخيل بأنه عقيم حيث قال : (.. وهذا يفسر لنا ما دار من الجدل النحوي العقيم حول بيت الفرزدق وهو كما نعلم تميمي : كم عمة لك يا جرير ...)[٢٢] .

٢ ـ (إن) فعل أمر

(والعربية ولهجاتها) مجموعة محاضرات كتبها الدكتور عبدالرحمن أيوب تهدف في مجموعها الى التوجه نحو اللهجات السوقية بالدرس والاستقراء قال : (ونحن نرجو أن تكون محاضراتنا هذه فتحاً لباب كان ينبغي أن يفتح منذ أمد طويل)[٢٣] ، والقارىء يتوقع ابتداء ان يترك المؤلف التعرض للنحو وأهله ما دام هذا موضوعه ولكنه يفاجأ بقوله:(ومقتضى هذا أن يكون جامعو اللغة العربية الاوائل قد ارتكبوا خطأ منهجياً حين كانوا يخرجون للبادية لجمع اللغة فيخلطون بين ما يأخذون عن قبيلة وما يأخذون عن قبيلة اخرى أو يخلطون بين ما يقوله الحضر وما يقوله أهل البادية ثم يستخرجون من هذا الخليط قواعد عامة[٢٤]) ، فقد أخطأ أهل اللغة اذن لانهم أخذوا عن عدة قبائل واستخرجوا القواعد منها ولسنا هنا في معرض مناقشة امثال هذه الآراء ولكننا أتينا بقولته ليرى القارىء رأي المؤلف في جامعي اللغة ثم ليراه وهو يتكلم على قواعد هذه اللغة قال :

---

(٢١) التصريح ٢ : ٢٨٠ .
(٢٢) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ط ٣ ص٧٧ .
(٢٣) العربية ولهجاتها للدكتور عبدالرحمن أيوب ط معهد البحوث ص ٤ .
(٢٤) العربية ولهجاتها ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(توجد إنّ من المادة المجردة فعل أمر فى بيت يساق لغزاً هو « ان هذه المليحة الحسناء » بنصب المليحة والحسناء صفة لهند وهند فى هذه الحال مفعول للفعل إنّ بمعنى انظر)[٢٥] ، وفزعنا الى لسان العرب[٢٦] لنرى متى تكون إنّ بمعنى انظر فلم نحظ بشيء من ذلك ، وعدنا الى كتب النحو فوجدنا ان الاستاذ قد اخطأ فى زعمه هذا ، جرّه الى ذلك العجالة والاعتماد على السماع دون التدقيق فالبيت ليس بنصب هند ولا المليحة بل هو بضم الدال من هند والتاء من المليحة وبنصب الحسناء وبذا يكون لغزاً ، والبيت بتمامه :

إنّ هندُ المليحةُ الحسناءَ وأي من اضمرت لخلّ وفاء

وهي فى هذا فعل امر من الفعل وأى بمعنى وعد[٢٧] . وهذا ابن هشام فى المغني يفصل الامر تفصيلا لا يدع زيادة لمستزيد قال : (... وعلى ذلك يتخرج اللغز المشهور وهو قوله :

ان هنـــد المليحـــة الحسناء وأي من اضمرت لخل وفاء

فانه يقال كيف رفع اسم إنّ وصفته الاولى والجواب ان الهمزة فعل امر والنون للتوكيد والاصل إيْنّ بهمزة مكسورة وياء ساكنة للمخاطبة ونون مشددة للتوكيد ، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع النون المدغمة كما فى قوله :

لتقرعنّ علي الســن من نـدم اذا تذكرت يوماً بعض اخلاقي

وهند منادى مثل « يوسف اعرض عن هذا »[٢٨] والمليحة نعت له

---

(٢٥) العربية ولهجاتها ص ٨٦ هامش ١ .
(٢٦) اللسان مادة انن .
(٢٧) اللسان مادة وأى .
(٢٨) يوسف : ٢٩ .

على اللفظ كقوله :

يا حكمُ الوارثُ عن عبدالملك

والحسناء اما نعت لها على الموضع كقول مادح عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه :

يعـــود الفضل منك على قريش وتفـرج عنهـم الكرب الشـدادا
فما كعب بن مامـة وابن سـعدى باجـود منـك يا عمـر الجـوادا

واما بتقدير أمدح ، واما نعت لمفعول به محذوف أي عدي ياهنـــد الخلة الحسناء ، وعلى الوجهين الاولين فيكون انما امرها بايقاع الوعـــد الوفي من غير أن يعين لها الموعد ، وقوله : وأي مصدر نوعي منصوب بفعل الامر والاصل وأياً مثل وأي من ، ومثـــله « فأخذناهم أخـــذ عـــزيز مقتدر »[٢٩] وقوله اضمرت بتاء التأنيث محمول على معنى من ، مثل من كانت امك)[٣٠] . وما نقلناه من المغني مغن عن التعليق الا انني أعيد هنا ما ذكرته آنفا من انـه خليق بالعالم ان يتثبت قبـل أن يصـدر حكما وأن يستجمع آلة علمه قبل أن يخوض فيه .

٣ ـ سقطات نحوية وتصريفية :

أ ـ تمييز العـدد من موضوعـات النحـــو التي تعنى بها المدارس والجامعات وتدرسها لطلبتها فيتخرج الطلبة وقـد اتقنوا استعماله وتمكنوا منه ، ولقد استوقفنا تمييز العدد في كتب الدكتور ابراهيم أنيس فجعلنا في حيرة من تفسيره ، قال في كتابه في اللهجات العربية : (فقد عثر بروفسير « ليتمان » وحـده على نحـــو ١٤٠٠ نقشاً حـاول فك رموزها وتفسـير

---

(٢٩) القمر : ٤٢
(٣٠) المغني ١ : ١٧ ـ ١٨ .

كلماتها ..)[٣١] ، ولا ندري كيف قرأ الاستاذ الفاضل الرقم فنصب تمييزه اللهم الا اذا كانت النقوش اربعة عشر فيصح عندئذ قوله نقشاً ، اما اذا كانت اربعمائة والف فالتمييز مفرد مجرور لا غير كيف قرأت العدد فنقول اربعمائة والف نقش أو الف واربعمائة نقش لان تمييز مائة والف مفرد مجرور كما هو معلوم وفي مكان آخر من الكتاب قال : (والصيغة الاولى هي أكثر شيوعاً في الاسلوب القرآني ، لان به حوالي ١٠٧ فعلاً ماضياً صحيحاً صيغته (فعَل) ، وحوالي ٢٤ من صيغة (فعِل)[٣٢] ، والصواب كما هو معلوم ان يقال : لانه به حوالي سبعة ومائة فعلٍ ماضٍ صحيحٍ ، أو لان به حوالي مائة وسبعة أفعال ماضية صحيحة اذ تمييز الثلاثة الى العشرة جمع مجرور . مخرج واحد يمكن أن نلتمسه للدكتور أنيس في هذا ليجعل من خطئه قاعدة وليس خطأً ذلك أن يثور على النحاة كعادته وأن يتهمهم بتلفيق تمييز العدد وان يدعو للتيسير بأن يكون تمييز العدد مفرداً منصوباً كيف وقع ! .

ب ـ قال الدكتور ابراهيم أنيس في اللهجات : (روي ان بعضاً من ربيعة كانوا يسقطون نون (اللذين) و (اللتين) وعليه قول الفرزدق :

ابني كليب ان عميّ اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلال

... ثم قال : أليس من الممكن أن يكون بيت الفرزدق كما يلي :

ابني كليب ان عميّ اللذينْ قتلا الملوك وفككا الاغلالا

أي ان يروى الشطر الاول منتهياً بما يشبه نون الترنم ، ولا أظن ان الاذن الموسيقية تلحظ حينئذ انحرافا في وزن البيت)[٣٣] .

---

(٣١) اللهجات ص ٣٤ .

(٣٢) اللهجات ص ١٦٩ .

(٣٣) اللهجات ص ١٣٥ .

والذي يلفت النظر ان الاسم الموصول مرفوع فى بيت الفرزدق (اللذا) ولكنه بالياء فى البيت المقترح (اللذينْ) ولا ندري أجعله الاستاذ فى موضوع نصب أم جر ! • اما الرفع فاعرابه واضح قال الازهري : (أراد اللذان فحذف النون ، وهو مرفوع على الخبرية لانّ [٣٤] • واما النصب أو الجر فعلمها عند الاستاذ المقترح • وقوله (أليس من الممكن •• الخ) غير وارد لان الامر يتعلق بالرواية لا بالامكان وعدمه وقد روى العلماء البيت (اللذا)[٣٥] فلا وجه للاقتراح مع الرواية • وقوله (منتهياً بما يشبه نون الترنم) غريب اذ لا يعلم أراد نون الترنم أم غيرها فان كانت غيرها فما هي وان كان يرى انها نون ترنم فليس بصواب لان نون الترنم تلحق القوافي المطلقة بحرف علة[٣٦] • وقوله : (ولا اظن ان الاذن الموسيقية •• الخ) يستدعي النظر حقاً فموسيقى الشعر انما تحكمها أوزانه وبها يقاس ما وافق الاذن الموسيقية مما خالفها وليس من قياس آخر على ما نعلم والبيت من الكامل تقطيعه كما يلى :

ابني تميـ/من انّ عمـ/ميّ اللذا متفاعلن متْفاعلن متْفاعلن فأين تزاد النون وليس الموطن موطن ترفيل أو تذييل •

جـ ـ قال الدكتور عبدالرحمن ايوب فى (العربية ولهجاتها) : (ومثل ذو الطائية التي تستعمل اسم موصول)[٣٧] • وقال فى مكان آخر : (ذو في لهجة طيء تستعمل اسم موصول)[٣٨] ، والصواب أن

---

(٣٤) التصريح ١ : ١٣٢ •
(٣٥) انظر مثلا شرح المفصل ٣ : ١٥٥ وشرح الكافية ٢ : ٣٨ والتصريح ١ : ٣٢ والصبّان ١ : ١٣٧ •
(٣٦) ابن عقيل ١ : ١٨ •
(٣٧) العربية ولهجاتها ص ٣٤ •
(٣٨) العربية ولهجاتها ص ٦٩ •

يقال : (تستعمل اسماً موصولاً) في الموضعين لان كلمة (اسم) ليست نائب فاعل في الموضعين كما نظن انه تبادر الى ذهن الاستاذ وانما نائب الفاعل ضمير مستتر يعود على ذو الطائية وهذا من الوضوح بمكان .

د ـ قال الدكتور ايوب في الكتاب نفسه : (فـ(إنّ) المكسورة تشبه في وزنها فعل الامر من مادة الثلاثي المضعف مثل (ش دد) ويصاغ على وزن افعل ويصير بعد الحذف المعروف في باب الصرف الى (شُدّ) (الامر من شَدّ) ومثل (هد) الامر من (هد) و (عدّ) الامر من (عدّ)وكلها تشبه في الوزن إنّ)[٣٩] . ونقول هذا غريب حقاً فـ (إنّ) حرف مشبه بالفعل وقد نص العلماء على أن الحروف لا يتناولها التصريف لبعد معرفة اشتقاقها[٤٠] فلا يصح المجيء بميزان لها ، ولو تابعنا الاستاذ على خطئه ووزناها كما وزنها فانها تكون بكسر الفاء ، اما ما استشهد به من الافعال في صيغة الامر فكلها تكون بضم الفاء لانها جميعاً من باب نصر فكلها اذن لا تشبه في الوزن إنّ .

---

(٤٠) انظر المنصف لابن جني ١ : ٧ ـ ٨ وشرح الشافية للرضي الاستربادي ١ : ٨ واوضح المسالك لابن هشام ٣: ٣٠٣ .